

في فهم مُؤثري الميديا الاجتماعية؛ العملية، الأسباب والمستويات

دراسة في ضوء منهج النظرية المجذرة

*Understanding social media influencers; processes,
causes, and levels*

A grounded theory study

د. صابر بقور
جامعة غرداية (الجزائر)
beggour.saber@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2022/05/19 تاريخ القبول: 2022/06/01 تاريخ النشر: 2022/06/25

ملخص:

تهدف هذه الدراسة الكيفية الاستكشافية: فهم طبيعة التأثير الذي يحدثه ما يُطلق عليهم بالمؤثرين الاجتماعيين حيث تتطلع إلى تحليل وتفكيك مفهوم التأثير الذي تغير من الطابع المؤسسي لوسائل الإعلام والاتصال الجماهيري إلى النزعة الفردانية التي يقودها رواد مواقع التواصل الاجتماعي، اعتمدت هذه الدراسة على منهج النظرية المجذرة التي تبغي بلورة واستخراج النظريات من خلال المنهج الاستقرائي، وذلك عبر أدواتي المقابلة المعقمة والاستبيان مع عينة صغيرة من المتابعين النشطين للمؤثرين لمعرفة/فهم طبيعة التأثير، أسبابه ومستوياته عبر جمع البيانات الكيفية من المبحوثين وتحليلها واستخراج فئات المعاني والتصورات المرتبطة بعملية التأثير في أذهان المتابعين وتجلياته الحقيقية فيهم، لتنتهي هذه الدراسة بالكشف عن طبقات التأثير التطوري لمؤثري الميديا الاجتماعية من الإشباع إلى التقمص والتوحد مروراً بالغرس كتفسيرات نظرية كلاسيكية تجلت من خلال تحليل البيانات المجمعة، كما طورت الدراسة عبر مسار التجذير نموذجاً نظرياً جديداً اصطلاحاً عليه بالتصحيح المنعكس الذي يحتوي على مجموعة من الافتراضات أهمها: أن المتابعة المستمرة لإنجازات المؤثر والتفاعل معها

والانغماس المُحايث فيها يعطي إحساساً مماثلاً بالإنجاز وتحقيق الذات، وهي أعمق التأثيرات التي يمكن أن يحدثها مؤثري الميديا الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: مؤثري الميديا الاجتماعية، النظرية المجذرة، طبقات التأثير التطوري، التصحيح المنعكس.

Abstract:

This exploratory qualitative study aims to: Understand the impact of the so-called social media influencers, and it looks forward to analyze and deconstruct the concept of Impact that has changed from the institutional nature of mass media to the individualism led by the pioneers of social media, This study relied on the grounded theory approach, which seeks to build and extract theories through the inductive approach, and by using the deep interview and survey tools with a small sample of active followers of influencers for the aim to know/understand the nature of this effect, its causes and levels. This fact is achieved by collecting qualitative data from the respondents. and extracting categories of meanings and perceptions related to the process of influencing their minds and their real manifestation. Finally, This study revealed the evolutionary layers effects of social media influencers from gratifications to reincarnation through cultural cultivation as classic theoretical explanations that were manifested through the analysis of the collected data, The study also developed, through the grounded theory method, a new theoretical model that we termed the reflexive correction, which contains a set of hypothesis, the most important one is: the continuous follow-up of the influencer's achievements, interaction with them, and the immanent immersion in them gives a similar sense of achievement and self-realization, and it is the deepest effects that social media influencers can attain.

Keywords: social media influencers, grounded theory, evolutionary layers effects, reflexive correction.

مقدمة:

مازال الإنترنت يغير ملامح المجتمعات على جميع الأصعدة أخذاً في استلاب الواقع الاجتماعي بأبعاده المتعددة وكذا الممارسات الاجتماعية واحدة تلو الأخرى، لدرجة أنه لم يعد ممكناً الحديث عن أي ممارسة لم تنج من الاقتران بالشبكة العنكبوتية العالمية، فالاتصالات اليوم تتم عبرها والتعبير عن الأفكار والاتجاهات والحالات النفسية

والعاطفية تمتد عبر منصاتها وعمليات البيع والتسويق وإدارة الصورة الذهنية للمؤسسات تعتمد بشكل أساسي على مواقعها وخدماتها، وحتى التعليم وجد نفسه في صفوف افتراضية حيث ابتعد الطالب عن الأستاذ وبقيت المادة العملية وسيطا رقميا بينهما. عمليات الشراء والنقل وحتى بعض الخدمات الصحية والطبية هي الأخرى دخلت معترك الإنترنت وحتى البنوك والمعاملات المالية والمصرفية باتت تعتمد على أنظمة وبرامج رقمية في تسير تعاملاتها، بل حتى الموت والطقوس الجنائزية بات لها شكل خاص عبر مواقع الشبكات الاجتماعية، ببساط باتت الإنترنت وعاءً كونيًا يحمل الإنسان أينما حل وارتحل وأيما فعل، إذ يمكن القول أنها كوكبه الجديد ومعاشه وتاريخه إنها دولة الإنسان الرقمي الكوني.

هذه الهيمنة الرقمية المستمرة والمتزايدة أفرزت إنسانا جديدا لا يكاد يغادر الإنترنت، ملتصق بشدة بتطبيقاتها ساحبا حياته بكل أشكالها إلى معترك الافتراض، وبين تعدد واختلاف الشخصيات والاهتمامات والمشارب ظهرت فئة يمكنها توصيفها بالنشاط القوي والشديد على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث تطور عرضهم لذواتهم في الحياة اليومية بفتح نوافذ مشرعة على حياتهم وتوجهاتهم مبرزين كل كبيرة وصغيرة عن محيطهم مع التركيز على تقديم حياة الرفاه والجودة في إغراء رقمي لا متناهي، وهو الأمر الذي حقق جذبا للعديد من الناس لمتابعتهم ليصبح الحديث عن متابعات مليونية وسط استشراف ظاهرة يُصطلح عليها بالمؤثرين الاجتماعيين أو مؤثري مواقع التواصل الاجتماعي influencers، هذه التسمية التي انبعثت من المنصات الاجتماعية ذاتها لتتسرب إلى الواقع الاجتماعي والحياة اليومية بشكل سلس وحتى إلى اللسان العالمي والعقل الجمعي دون وعي حقيقي بهذه الممارسة، ذلك أن زمن السرعة لا يعطي الفرصة كثيرا للوقوف عند الأشياء التي تظهر فجأة وتتحول إلى ممارسة متجذرة في المجتمع في وقت قصير.

انتشر المؤثرون عبر الميديا الاجتماعية مغيرين واقع المنظومة الإعلامية والاتصالية برمتها، فأصبحت وسائل الإعلام تركز لجلهم إلى استديوهات لتقديم البرامج وحتى المشاركة بأدوار تمثيلية في الأفلام والمسلسلات لرفع نسب المشاهدة

وتغيرت السياسات التسويقية للشركات والمؤسسات التي باتت تعتمد عليهم بشكل كبير في التسويق لمنتجاتها وترامى الأفراد هنا وهناك للإنصات لخطاباتهم عبر البث المباشر والمنشورات والأخذ بنصائحهم وتوجيهاتهم في كل شيء، حتى بات هؤلاء المؤثرين قادة الرأي الجدد ورقما مهما في مختلف الأحداث المهمة وحتى الأزمات التي تمر بأي مجتمع. يحدث كل هذا أمام بقية أفراد المجتمع المougلين في عزلتهم في هروب مستمر من الواقع الاجتماعي بمشاكله وضغوطه اليومية، "فالفرد ينتقل أو يلجأ من عالمه الثقافي الحقيقي إلى العالم الرمزي الذي تعرضه وسائل الاتصال تلقائيا أو رغبة في الإفلات مؤقتا من عالمه المجسد، وتتنوع دوافع الانتقال من العالم الواقعي إلى الرمزي ومنها أن يضيق الواقع المجسد فيجد الفرد مكانه في الرمزي إلى حين". (عزي، 2013، ص 110) هذا العالم الرمزي الذي استولى عليه المؤثرون في البيئة الرقمية وأصبح ملاذ المنعزلين والفارين من واقعهم إلى الشاشة، ليفتح هذا الواقع أمانا إشكالية ملحة حول هذا التأثير الجديد الذي صنعه المؤثرون الاجتماعيون، فما هي طبيعة هذا التأثير، وما هي أسبابه ومستوياته؟

تهدف هذه الدراسة إلى تشرح ظاهرة مؤثري الميديا الاجتماعية لفهم أبعاد هذا التأثير فهما معمقاً في كل جوانبه، ولبلوغ هذا الهدف اعتمدنا على منهج النظرية المجردة التي تعد "طريقة في التفكير حول البيانات بهدف استخراج مفاهيم ونظريات منها، إذ ذاك تصبح النتيجة النهائية نظرية ينتجها العلماء من جملة من المقابلات مع الباحثين فضلا عن ملاحظة حياتهم اليومية". (جوليان، 2012، ص 14).

إذ ذاك قمنا بجمع هذه البيانات من خمسة مقابلات علمية معمقة مع عينة نشطة متابعة للمؤثرين، أين تم الوقوف عند مؤثر واحد الأكثر متابعة وتفضيلا من قبل كل مفردة من العينة للتمكن من معرفة أبعاد ومستويات التأثير الحقيقية فيها، وتجدر الإشارة إلى أن العينة المدروسة كانت كلها من الإناث لأن ذلك ما أُتيح لنا فقط، فالتطوعات لإجراء المقابلة كن إناثا من المتابعات للمؤثرين الاجتماعيين، ذلك أن الذكور الذين سألناهم عن المؤثرين قد نفوا متابعتهم وهناك شخص واحد أفاد بمتابعته لكنه تهرب من إجراء المقابلة في حين أن الإناث كانوا أكثر ابداءً وتعبيرا عن

متابعتهن للمؤثرين، يمكن القول أن عينة هذه الدراسة مزدوجة فهي عينة متاحة قصدية ذلك أننا اخترنا بشكل قصدي من يتابع المؤثرين وفي ذات الوقت ما هو متاح منهن وأبدين موافقتهن على إجراء المقابلة –أنظر الشكل رقم (01).

ويمكن تعريف العينة القصدية التي يطلق عليها أيضا اسم العينة المُتحكّمة نظرا لأنها تعتمد على التحكم في الموضوع بشكل عميق والتحكم أيضا في مفردات العينة من خلال طريقة سحب البيانات منها بعمق "على أنها نوع من المعاينة التي يختارها الباحث عينه دارسته بشكل قصدي تبعا لتوفرها على خصائص وشروط موضوع بحثه دون غيرها كما تقع ضمن نمط المعاينة غير الاحتمالية-non probability sampling أين يكون لدى العديد من الوحدات فيها الخاصة بالمجتمع المستهدف فرصة صفرية للاختيار أو حيث لا يمكن تحديد احتمالية الاختيار بشكل دقيق." (البلداوي، 2008، ص 128).

أما العينة المتاحة "فيطلق عليها أيضا اسم العينة الصدفية أو العرضية وهي الطريقة التي يتم فيها سحب العينة من الجزء الخاص بالمجتمع المستهدف السكاني الذي في متناول اليد أو المتاح بسهولة أو العنصر الملائم، ويستخدم هذا النوع من العينة عندما يصعب على الباحث الوصول إلى عينة من اختياره بسبب خصوصية مجتمع الدراسة أو حيلولة التحكم فيه." (باتشيري، 2015، ص 144)

إلى جانب أداة المقابلة المعمقة قمنا بالاعتماد على استمارة الاستبيان التي تم توزيعها على عينة الدراسة نفسها التي أجرينا معها المقابلة (05 مفردات) وذلك لسببين رئيسيين: الأول أننا قد خصصنا استمارة الاستبيان لطرح بعض الأسئلة التي تمس الحياة الشخصية للمبحوث، لذلك امتنعنا عن إدراجها في المقابلة لتفادي إحراج المبحوثين وعزوفهم عن الإجابة ولتفادي توجسهم من الأسئلة الشخصية التي تعرقل مسار المقابلة وجمع البيانات، أما السبب الثاني فيعود إلى اعتمادنا على استمارة المقابلة كوسيلة ضابطة وكأداة صدق وثبات لاستمارة المقابلة وذلك بإعادة طرح أسئلة المقابلة بطريقة أخرى في استمارة الاستبيان للوقوف على مدى ثبات إجابات المبحوثين.

وتقع هذه الدراسة ضمن نطاق الدراسات الكيفية، "حيث توفر الممارسة الكيفية للمشتغلين بها طائفة من الإمكانيات الإستيمولوجية والفكرية والمنهجية في بحث كلي نقدي خاضع للتعديل والتطوير ينتهي بإنتاج معرفة تحكمها الاعتبارات الثقافية وتشتبك بالأفكار النظرية من خلال تفاعل مستمر بين النظرية وطرق البحث من ناحية وبين الباحث والمبحوثين من ناحية أخرى، وبذلك يزودنا البحث الكيفي بمعرفة تفسيرية أو تحليلية ذات مستوى عالي من القدرة على التصوير/ التوصيف الدقيق." (شارلين وباتريشيا، 2011، ص38)

الجدول 1: (يوضح مفردات العينة حسب جنسها ومتابعتها للمؤثرين)

العينة	الجنس	المؤثر الأكثر متابعة	الولاية / الإقامة
المفردة 01	أنثى	أميرة ريا	غرداية
المفردة 02	أنثى	لجين عمران	غرداية
المفردة 03	أنثى	خبيب	غرداية
المفردة 04	أنثى	سامية (Samia	البلدية
المفردة 05	أنثى	ماريا سعدي	باتنة

المصدر: الباحث

1. النظرية المجذرة: المفهوم والعملية:

طُورت النظرية المجذرة سنة 1967 في الولايات المتحدة الأمريكية تحديدا كلية علم الاجتماع جامعة شيكاغو من قبل الباحثين بارني غلاسر وأنسلم ستروس Glaser & Strauss، ويمكن القول "أن النظرية المجذرة هي تلك النظرية التي تمت صياغتها بأسلوب استقرائي من تلك الظواهر المقصودة بالدراسة، وبعبارة أخرى هي تلك النظرية التي تم اكتشافها وتطويرها والتحقق من صحتها من خلال الجمع والتحليل المنظم للبيانات الخاصة بتلك الظواهر، وعلى هذا فإن كلا من جمع البيانات وتحليلها والنظرية يقف بعضها من بعض في علاقة تبادلية، فأى باحث لا يستطيع البدء من نظرية ومن ثم يخضعها للاختبار بل خلافا لذلك يبدأ بدراسة ظاهرة ما سامحاً أو تاركاً

كل ما له علاقة بذلك أن يبدو ويخرج تلقائياً للعيان". (ستروس وكوربين، 1999، ص 24)

وعليه تعد النظرية المجذرة عملية متعددة المراحل تقوم على جمع وتحليل البيانات باستخدام المنطق الاستقرائي أي الانتقال من المشاهدات الجزئية إلى التعميمات الكلية وتحتوي النظرية على مفاهيم/عناصر مفتاحية تتمثل في الحساسية النظرية، المقارنة المستمرة، المعاينة النظرية والتشبع النظري (جوليان، 2012، ص 15)

1. الحساسية النظرية هي قدرة الباحث على أن يكون تحليلياً، أي مدى تمكنه من الأدبيات النظرية الموجودة والقدرة على تجاوزها إضافة إلى القدرة على استخراج المعاني الشفافة والدقيقة من البيانات والفهم الجيد لها. تعتمد الحساسية النظرية على الإلمام بالنظريات والمفاهيم الاجتماعية، كما تستند أيضاً على الخبرة الشخصية والمهنية. الحساسية النظرية شيء ينمو بمرور الوقت ويرتبط بسنوات عديدة من التفكير نظرياً. (أوكتاي، 2012، ص 16)
2. المقارنة المستمرة هي الطريقة الأساسية المستخدمة في النظرية المجذرة لإنشاء نظرية من البيانات التجريبية. من خلال مقارنة الحالة بالحالة (سواء كانت حالات فردية منظمات أو هياكل أكبر، مثل المجتمعات)، يطور الباحث مفاهيم عملية عبر المقارنة المستمرة تجعل أوجه التشابه والاختلاف بين الحالات واضحة، حيث يتم تحديد ووصف الفئات المفاهيمية بناءً على هذه البيانات. (أوكتاي، 2012، ص 16)

3. المعاينة النظرية: أخذ العينات في منهجية النظرية المجذرة مدفوعة تطوراً، نظراً لتطور النظرية مع تقدم الدراسة تتغير استراتيجية أخذ العينات على مدار الدراسة بشكل مستمر وتتطوري. لذلك لا يتم تحديد العينة مسبقاً بشكل تام ونهائي. (جوليان، 2012، ص 16)

4. التشبع النظري يعني لا توجد بيانات إضافية يمكن من خلالها لعالم الاجتماع تطوير خصائص الفئة، يستمر البحث حتى يصل الباحث إلى نقطة "التشبع".

أي حتى تتوقف المفاهيم عن الظهور، ولأن منطق اشتغال النظرية مدعوم بالبيانات لا يلزم تطوير كل الفئات والمفاهيم إلى حد التشبع، لكن التشبع ضروري بالنسبة "للفئات الأساسية" (أوكتاي ، 2012، ص 17)

تعمل المفاهيم المذكورة أعلاه معاً في عملية متعددة المراحل تنتهي ببناء النظرية. يختار الباحث أولاً موضوعاً ويبدأ في جمع بعض البيانات. بعد ذلك يقارن بينها بشكل مستمر لتوليد المفاهيم منها، مع تطبيق الحساسية النظرية لفهم المفاهيم ورفعها إلى مستوى تجريدي أعلى إلى جانب التحقق منها، تستمر هذه العملية إلى غاية الوصول إلى التشبع النظري (أوكتاي ، 2012، ص 18)

ويمكن أن نوضح مراحل التحليل المتبعة في منهج النظرية المجردة على النحو الآتي:

الجدول 2: (يوضح مراحل التحليل المتبعة في النظرية المجردة)

المرحلة	الغاية
رموز	تحديد المرتكزات التي تسمح بجمع النقاط الأساسية للبيانات
مفاهيم	مجموعات من رموز المحتوى المماثل التي تسمح بتجميع البيانات
فئات	مجموعات واسعة من المفاهيم المشابهة التي تُستخدم لتكوين نظرية
نظرية	مجموعة من الفئات التي تفصل موضوع البحث

المصدر: برنار وريان، 2010، ص 119.

2. ما قبل التجدير؛ الحساسية النظرية الأولية:

كما سبق ذكره تعتبر الحساسية النظرية قاعدة مهمة في النظرية المجردة، وقبل استخراج المفاهيم والفئات الجديدة وعلاقتها ببعضها البعض من البيانات التي تم جمعها من عينة الدراسة، لا يمكننا تجاهل الملامح النظرية الموجودة بالأساس في نظريات سابقة والتي عبرت عن نفسها من خلال البيانات المحللة، إذ ذاك لا يمكننا إلا أن نقف عند هذه القراءات النظرية قبل تجاوزها نحو التجدير والتفصيل لذلك

اصطلحنا على هذه المرحلة بالحساسية النظرية الأولية، والتي نقصد بها مدى تجلي تفسيرات النظريات الموجودة سلفاً/ أولاً في البيانات التي أدلى بها المبحوثون.

2. 1. مؤثري الميديا الاجتماعية؛ تأثير ضمن مدخل الاستخدامات والإشباعات:

ظهرت نظرية الاستخدامات والإشباعات سنة 1974، في كتاب "استخدام وسائل الاتصال الجماهيري" لإلهو كاتز وهيربرت بلومر Katz & bloomer، وقد بينت النظرية ما يجعل الجمهور شديد الارتباط بوسائل الاتصال يتمثل في عملية الإشباع التي توفرها هذه الوسائل، وبينت الدراسات الأولى في هذا المجال أن انقطاع الأفراد عن قراءة صحيفتهم ولو لفترة وجيزة يحدث اضطراباً في توازن الفرد وسلوكه اليومي، إضافة إلى الإحساس بالعزلة أو الغربة عما يجري حوله من أحداث. (عزي، 2013، ص 115)

وتشمل الاحتياجات التي تشبعها وسائل الاتصال:

الاحتياجات المعرفية: أي الحاجة إلى الخبر والمعرفة بشكل عام.

الاحتياجات العاطفية: أي الحاجة إلى المشاعر كالإحساس بالأخوة والمحبة والفرح

والسعادة .

الاحتياجات الاجتماعية، الاحتياجات الترفيهية واحتياجات تحقيق الذات (عزي،

2013، 115)

كما قسم لورنس وينر الإشباعات إلى قسمين رئيسيين:

أ. إشباعات المحتوى: وتنتج عن التعرض لوسائل الاتصال وتنقسم بدورها إلى:

1أ. إشباعات توجيهية: وتتضمن الحصول على المعلومات وتأكيد الذات ومراقبة البيئة.

2أ. إشباعات اجتماعية: ويقصد بها ربط المعلومات التي يحصل عليها الفرد بمنظومة علاقاته الاجتماعية.

3أ. إشباعات العملية: وتنتج عن عملية اتصال نفسها واختيار وسيلة معينة ولا

ترتبط بمضمون الوسيلة وتنقسم بدورها إلى نوعين رئيسيين:

4. إشباعات شبه توجيهية: لتخفيف الإحساس بالتوتر والدفاع عن الذات والتدعيم المعنوي من خلال التعرض لمواد ترفهية.

5. إشباعات شبه اجتماعية: وتحقيق من خلال التوحد مع شخصيات وسائل الإعلام وتزيد هذه الإشباعات مع ضعف علاقات الفرد الاجتماعية وزيادة احساسه بالعزلة. (الحاج، 2020، 102)

منذ الوهلة الأولى لقراءة بيانات المبحوثين، ظهر مدخل الاستخدامات والإشباعات في أجوبتهم ذلك أن عينة البحث تنتقي المؤثر الذي تتابعه في البداية بناءً على حاجات معرفية أعربت عنها أربعة (04) مبحوثات من أصل خمسة (05)، هذه الحاجات أُشبعَت عند متابعة المؤثر والتي جاءت تباعاً (حسب إدلاء كل مبحوثة) كما يأتي: معرفة وتعلم الطبخ، الموضة، الديكور، اللغات، برامج المونتاج، أما عن أسباب ودوافع المتابعة فقد أبانت كل المبحوثات عن رغبتهم في تطوير ذواتهم وتحقيق النجاح ورغبتهم في تغيير واقعهم وهي دوافع تنم عن الرغبة في تحقيق الذات، ذلك أن متابعتهم للمؤثرين (الذين تم ذكرهم في الجدول رقم 01) يدفعهم إلى التطور اقتداءً بهم، لأن المؤثرين كانوا أشخاص عاديين انطلقوا من الصفر وتمكنوا من تحقيق النجاح والشهرة (حسب أجوبة المبحوثات)، إذ يعتبر مبرر المتابعة هذا تمثلاً رئيساً وصورة ذهنية واضحة في أذهان المتابعين عن المؤثرين فضلاً عن كونه دافع أساسي للمتابعة.

تأتي الإشباعات العاطفية/النفسية تباعاً في المرتبة الثانية، حيث عبرت المبحوثات عن شعورهن بالفرح والطاقة الإيجابية والأخوة والمحبة عند متابعة/حيال المؤثرين الذين يتابعوهم، كما عبرت إحدى المبحوثات عن متابعتها لإحدى المؤثرات أن هذه الأخيرة "تصنعُ فيديوهاتٍ مع والدتها بطريقة رائعة" حيث ذكرت المبحوثة هذه الجملة مباشرة بعد ذكر دافع متابعتها لها مبينة درجة استمتاعها بحوارات المؤثرة ووالدتها، ذلك أن المبحوثة قد فقدت أمها في سن مبكرة، وتحقق إشباعاً/تعويضاً لغيابها من خلال مشاهد وفيديوهات المؤثرة مع والدتها التي تصورها بشكل دائم على صفحتها، إنه تعويض نفسي عن فقدان الأم وإشباع عاطفي لفظي وصوري عبر محتوى

المؤثرة التي خصصت محتواها في تعليم اللغات بالمشاركة مع والدتها التي تعمل أستاذة لغة إنجليزية (لاحظ الجدول رقم 1/ المؤثرة ماريما سعدي على إنستغرام).

تشكل الإيجابية التي ينشرها المؤثرون بعرض الجانب المضيء من حياتهم دافعاً أصيلاً للمتابعة، ومن هنا يرى أركين أن هناك طريقتين أو استراتيجيتين للعرض الذاتي يمكن استخدامها للتلاعب وتنفيذ أداء الحياة الذي اقترحه غوفمان: العرض الذاتي الاكتسابي/ الاستحواذي ويستخدم للحصول على موافقة الآخرين من خلال العرض الإيجابي الذاتي والعرض الذاتي الوقائي الذي يستخدم لتجنب استنكار الآخرين من خلال استخدام عرض محايد ومتواضع للذات، ويواصل أركين أن البشر عادة يباشرون نشاطهم عبر المواقع بعرض اكتسابي ثم هناك من يتحول إلى العرض الوقائي لأسباب ثلاثة: أولاً إذا واجهت الذات الاستعراضية توقعات غير واضحة من الهدف الذي يتم توجيه العرض الذاتي إليه وبالتالي يتحول مقدم العرض إلى الذات الوقائية لتجنب النتائج السلبية، ثانياً العرض الوقائي الذاتي مطلوب لحماية مقدم العرض من تقويض أو اكتشافات سلبية أو منشورات من قبل الهدف، ثالثاً: قد يميل الناس بشكل طبيعي إلى العرض الوقائي بدلاً من الاستحواذي الاكتسابي خوفاً من النقد أو الرفض أو كحماية من أي ضرر محتمل عن تقديم نفسه عبر الإنترنت. (سميث، 2022، 45)

وعليه يبدو أن المؤثرين يتبعون الاستراتيجية الاستحواذية في اكتساب المزيد المتابعين عبر العرض الإيجابي للحياة فيما يمكن الاصطلاح عليه بالإغراء الرقمي، في حين أن المتأثرين يتبعون الاستراتيجية الوقائية لأسباب قد تعود إلى الخوف من النقد والفضل والتقويض والتي لم تعبر عنها أي مفردة من المبحوثات، ولكن ثلاثة منهن (اللواتي يقطنن بولاية غرداية أنظر الجدول رقم 01) عبرن عن رغبتهم في التحول إلى مؤثرات عبر الاستراتيجية الاستحواذية وخوضهن مجال مواقع التواصل الاجتماعي وصناعة المحتوى لكنهن اصطدمن بواقعهن الاجتماعي الذي يرفض هكذا ممارسات، حيث وصفت إحداهن هذا الواقع "بالمُر" في حين قالت أخرى: "أنها تدرس خفية عن شقيقها لأنه يمنعه من الدراسة فما بالك التحول إلى مؤثرة" في حين قالت الثالثة: "أن البيئة والمجتمع لا يسمحان بهكذا ممارسات."

على صعيد آخر، عبرت كل المبحوثات عن تحقيق اشباع الترفيه والضحك من خلال محتوى المؤثرين الذي يتسم بشيء من الفكاهة والمرح، وهو الاشباع غير التوجيهي الذي أشار إليه لورنس وينر، والذي بدوره يخفف الإحساس بالتوتر فضلاً عن التدعيم المعنوي من خلال التعرض لمواد ترفيهية.

يمكن أن نرتب طبيعة الحاجات ودوافع متابعة المؤثرين والإشبعات المحققة منها تبعاً حسب تصريحات المبحوثات، إلى إشبعات معرفية ثم عاطفية نفسية وشبه توجيهية، ذلك أن ثلاثة (03) مبحوثات من أصل خمسة ذكرن الدافع والاشباع المعرفي أولاً أما المفردتين المتبقيتين فقد ذكرتا الطاقة الإيجابية والمرح في المرتبة الأولى، كل حسب دافعيته وحاجاته، يأتي هذا الاستنتاج في إطار عملية المقارنة المستمرة التي يقتضيها منهج النظرية المجردة.

ما يمكن قراءته/ملاحظته من بيانات المبحوثات أن أغلب الحاجات قد أشبعت من خلال متابعة المؤثرين؛ معرفياً، عاطفياً نفسياً وتوجيهياً، إلا أن حاجة تحقيق/تأكيد الذات كحاجة توجيهية تبقى عالقة وغير مشبعة وهو السؤال الذي يبقى عالقا إلى غاية الإجابة عليه في مسار التجدير في هذه الدراسة.

الجدول 3: (يوضح إجراء المقارنة المستمرة المتعلقة بالاستخدامات والإشبعات)

العينة	الجنس	المؤثر الأكثر متابعة وتفضيلاً	الحاجة والاشباع
المفردة 01	أنثى	أميرة ريا	معرفي-عاطفي/نفسي
المفردة 02	أنثى	لجين عمران	معرفي-نفسي
المفردة 03	أنثى	خبيب	عاطفي-نفسي-شبه
المفردة 04	أنثى	سامية (Samia Ch)	عاطفي-نفسي-شبه
المفردة 05	أنثى	ماريا سعدي	معرفي-

المصدر: الباحث

2. مؤثرو الميديا الاجتماعية؛ يغرسون قيما و أفكاراً ومعتقدات محددة:

من جهة أخرى، أظهر تحليل بيانات العينة المدروسة، عن عملية غرس ثقافي واضحة لمجموعة من الأفكار والقيم والمعتقدات التي ينشرها المؤثرون، بلا شك نحن نتحرك نظريا نحو نظرية الغرس/الإنماء الثقافي التي سنبرز تقاطعاتها النظرية مع جزء من البيانات المصحح بها من قبل عينة الدراسة ولكن قبل ذلك وجب التعرّيج بشكل وجيز على أدبياتها.

ترجع جذور الغرس الثقافي "الإنماء" إلى الباحث الأمريكي جورج جيربнер Gerbner من خلال مشروعه الخاص بالمؤشرات الثقافية؛ الذي بحث فيه حول تأثير وسائل الاتصال الجماهيري على البيئة الثقافية. (الطيب، 2014، ص 152)

وتقوم هذه النظرية على فكرة أن وسائل الاتصال تشكل إدراكات الجماهير والعالم الحقيقي وبناءهم للواقع الاجتماعي من حولهم، فالأفراد الذين يشاهدون برامج التلفزيون بدرجة أكثر من غيرهم يختلف إدراكهم للواقع الاجتماعي عن الأفراد الذين يكون تعرضهم أقل، ويرجع مصطلح الغرس cultivation إلى العملية التي يتم من خلالها زرع صورة معينة أو رموز الواقع الاجتماعي من خلال وسائل الاتصال. (الطيب، 2014، ص 151)

وعلى الرغم من تطورها في البداية لشرح كيفية ارتباط استهلاك التلفزيون بآراء حول انتشار العنف في المجتمع سنة 1976، فإن نظرية الغرس مناسبة أيضا لشرح تأثير الوقت الذي يتم قضاءه على وسائل التواصل الاجتماعي على تصورات المستخدمين لمجموعة متنوعة من السلوكيات، حيث تفترض النظرية أن التعرض لوسيط معين على مدى فترة طويلة سيعكس وجهات النظر المعروضة فيه في المجتمع، لذلك فإن زيادة الوقت الذي يتم قضاءه على الإنترنت قد ينمي المعتقدات بأن ذاك المحتوى يعكس العالم الحقيقي. (كافري وكودي، 2022، ص 105)

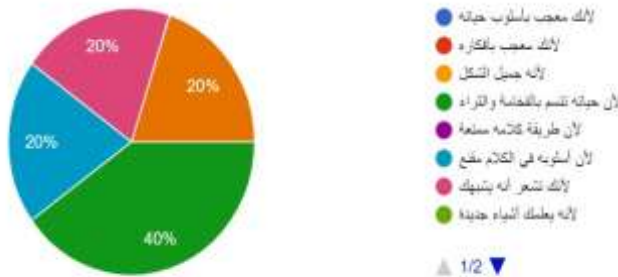
إن الفكرة الأساسية التي غرسها مؤثرو مواقع التواصل الاجتماعي في عينة الدراسة التي تتابعهم هي "فكرة تغيير الواقع"، خصوصا وأن عينة البحث كلها من

الإناث كما أن أربعة منهن يتابعن مؤثرات إناث، ذلك أن اصطدام واقع الأنثى في بيئتنا مع فكرة حريتها المسلوقة يجعلها دائما في محاولة حثيثة لاسترجاعها، وتظهر أبعاد التأثير هنا في المتابعة التراكمية للنمط التحرري الذي تتميز به المؤثرات عبر مواقع التواصل الاجتماعي والخطابات النسوية التي توجهها إلى المتابعات بضرورة الحصول على الحرية وتغيير واقع الأنثى الجزائرية، خصوصا وأن أغلب المبحوثات قد عبرن عن إعجابهن بنمط حياة المؤثرات ورغبتهم في الحصول على معاش مماثل، وهو الاتجاه السائد الذي تكرر ظهوره في إجابات الإستبانة (أنظر الشكل رقم 1)، حيث أفصحت مبحثتان عن اقتناعهما بدعوة المؤثرات اللواتي يتابعن بضرورة تغيير واقعهن (إلى جانب المتابعات الأخريات) وعدم الاستسلام والفشل وتجريب كل السبل والحيل لتغيير هذا الواقع، حتى أن إحدى المبحوثات قد قالت: "أميرة ريا تكره الفشل ولا تحب الفاشلين وتدعونا دائما إل العمل والنجاح ولأنها تكره الفاشلين لا يجب أن أكون فاشلة" لتتجلى هنا أقصى درجات التأثير والتوحد مع المؤثر التي ستناولها في البعد الثالث من التأثير من خلال النظرية المقبلة.

الشكل 1: (يوضح أسباب متابعة المؤثرين حسب خيارات الاستبانة)

لماذا تتابع مؤثرات المفضل بالمتابعة؟

5 réponses



المصدر: الباحث استناداً إلى مخرجات الاستبيان الإلكتروني على

google forms

الفكرة الثانية التي تم غرسها في ذهن إحدى المبحوثات من خلال المؤثرة التي تتابعها (لجين عمران)، أنها قد تعلمت من التجربة غير الموفقة لهذه المؤثرة فيما يتعلق بالزواج والإنجاب المبكرين، حيث قالت: "أنها تعلمت من خطأ المؤثرة ومن النصائح والتحذيرات التي قدمتها بخصوص الزواج المبكر، مما يجعلها ترفض هذه الفكرة بالمطلق"، في المقابل قالت المبحوثة أيضا أنها: "قد اقتنعت بوجهة نظر المؤثرة فيما يتعلق بضرورة الاشتغال على الذات والعمل والنجاح وعدم الزواج مبكراً"، يبرز هنا تقمص الأدوار في تقليد شخصيات وسائل الإعلام والاتصال ومن ثم مؤثري مواقع التواصل الاجتماعي، "وقد أورد الباحث باندورا صاحب نظرية التعلم الاجتماعي أن تأثير وسائل الاتصال يكمن في التقمص modeling ويعني ذلك أن الجمهور يلاحظ ويشترك تجربة الآخر ثم يتخذ ذلك نموذجاً". (عزي، 2013، ص 119)، كما تتقاطع هذه الرؤية أيضا مع نظرية النموذج.

فكرة أخرى تم غرسها في ذهن إحدى المبحوثات التي تتابع المؤثرة (Samia Ch)، ألا وهي طريقة التعامل مع الزوج (أحد مفردات العينة سيدة متزوجة من ولاية البليدة)، يمكن الحديث هنا بالأحرى عن أسلوب أو طريقة في العيش والتعامل مع الواقع المعاش وتعقيداته: فقد أفصحَت المؤثرة أنها "تعلمت الكثير من الحيل في التعامل مع زوجها وعائلة زوجها وحل المشاكل التي تواجهها إزاءهم من خلال نصائح المؤثرة التي تتابعها"، في ذات السياق عبرت مبحوثة أخرى تتابع المؤثر "خييب" الذي عزز في ذهنها اتجاهها نحو السفر بدعوته للمتابعين إلى ضرورة تغيير المكان والسفر واكتشاف العالم، بالنسبة لهذه الحالة لا نتحدث عن غرس تام بل تعزيز لاتجاه موجود بالأساس أو تثبيت للغرس، كما لا يمكن أن ننفي دور عملية الغرس الثقافي في تعزيز اتجاهات الأفراد ومعتقداتهم الموجودة بالأساس والتي تعبر عن استعدادات قلبية وقيم وأفكار موجودة سلفاً.

الجدول 4: (يوضح إجراء المقارنة المستمرة المتعلقة بالغرس الثقافي)

العينة	الجنس	المؤثر الأكثر متابعة	الأفكار المغروسة
المفردة 01	أنثى	أميرة ريا	العمل والنجاح
المفردة 02	أنثى	لجين عمران	تغيير الواقع
المفردة 03	أنثى	خبيب	تغيير المكان
المفردة 04	أنثى	سامية (Samia)	حل مشاكل أسرية

المصدر: الباحث

2.2. مؤثري الميديا الاجتماعية؛ من التقمص الوجداني إلى التوحد السلوكي:

المستوى الثالث من التأثير الذي يحققه مؤثرو مواقع التواصل الاجتماعي بعد الاستخدام والأشباع ثم الغرس الثقافي هو بلوغ المتأثر/ المتابع مرحلة التقمص الوجداني والسلوكي للمؤثر، وقبل الحديث عن مستويات التقمص هذه نشير إلى نظرية التقمص الوجداني لدانيال ليرنر D.Lerner التي يقول فيها أن تأثير وسائل الإعلام على الإنسان يبرز بصورة واضحة في تصويره لدوره وأدوار الآخرين في المجتمع فضلاً عن مقدرتهم على التخيل أو تصور أنفسهم في مواقف الآخرين وإدراك وفهم مشاعرهم، وأن هذا التصور يأتي كنتاج لعملية التقمص الوجداني الذي ينشأ عند الفرد ويمكنه من إدراك معنى وأهمية التطور والتحضر. ويضيف إن التطور أو التحضر Modernization اتجاه دنيوي وعقلي يزيد من مساهمة الأفراد للانتقال من طريقة الحياة التقليدية إلى حياة جديدة تزداد فيها مساهمتهم." (ليرنر، 1963، ص16)

تتقمص عينة الدراسة شخصيات المؤثرين الذين يتابعوهم على مواقع التواصل الاجتماعي نفسياً وسلوكياً عبر مستويات مختلفة، فقد أعربت ثلاث (03) مبحوثات من أصل خمسة عن حبهن الشديد والكبير لمؤثرهم، كما أبانت جميع المبحوثات عن رغبتهن الشديدة وحلمهن بلقاء هؤلاء المؤثرين.

بالنسبة للمبحوثة التي تتابع المؤثرة " أميرة ريا" كشفت من خلال المقابلة "عن مرورها بحالة اكتئاب خلال فترة الحجر التي ارتبط بانتشار فيروس كورونا في الجزائر، وبأن المؤثرة التي تتابعها قد ساعدتها على التخلص من هذه الحالة من خلال التواصل معها وإعطائها مجموعة من النصائح التي طبقها للتخلص فعليا من الاكتئاب"، إن درجة التعلق النفسي والتقمص الوجداني للمؤثرة من قبل المبحوثة جعلها تقول أنها قد أنقذتها من الاكتئاب، خصوصا وأنا قد أجابت بأنها نصحتها "بتغيير الروتين اليومي، قراءة القرآن والكتب وتغيير المظهر الخارجي" فهل أنقذتها حقا من الاكتئاب؟ أم أن درجة التعلق الوجداني جعلها تعتقد/ تتوهم ذلك وما حدث معها مجرد قلق اجتماعي عابر بسبب الجائحة؟، وهل الاكتئاب كمرض نفسي معقد يمكن تجاوزه ببضع نصائح من مؤثرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي غير مختصة في علم النفس؟، وهل مقترحات بسيطة وعادية كتغيير الروتين وقراءة القرآن وتغيير المظهر الخارجي كفيلة بإخراج شخص من حالة اكتئاب؟ يبدو أن المبحوثة تتقمص وجدانيا مؤثرتها المفضلة وتتموقع/تتموضع في شخصيتها معتقدة أنها فعلا قد ساعدتها وأن الحلول والنصائح التي أعطتها إياها ذات خصوصية وندرة.

تصف ذات المبحوثة تعلقها الشديد بالمؤثرة "بأنها أخت وشخص مقرب جدا إليها" كما "تعيش معها أغلب الوقت عبر صفحتها على إنستغرام من خلال متابعة كل تفاصيل حياتها"، في ذات السياق ذكرت المبحوثة أنها "تقلد المؤثرة في لباسها وطريقة كلامها" لتتحدث هنا عن توحيد سلوكي واضح مع المؤثرة في تجل لأقصى مستويات التأثير عليها، كما ذكرت المبحوثة أيضا أنها قامت باقتناء أحد منتجات المؤثرة بسبب حبها لها واعجابها بها، كما تجدر الإشارة إلى أن مبحثين (02) فقط من أصل خمسة عبرتا عن تقليدهما للمؤثرات في حين نفت البقية ذلك.

ما يلفت الانتباه حقاً في مسألة التقمص الوجداني للمؤثرين، هو تطوير المتابعين لميكانيزمات دفاعية إزاءهم، فكيف يمكننا الدفاع عن شخص دون التمتع مكانه؛ وهو الطرح الذي يشكل الافتراض الرئيس لنظرية التقمص الوجداني (تقمص الأدوار والمواقف)، فقد كشفت ثلاثة (03) مبحوثات عن دفاعهن الشديد عن المؤثرين الذين

يتابعوهم، حيث قالت مفردتين من عينة الدراسة أن المؤثرات اللواتي يتابعنهن: "قد تعرضن لكثير من الظلم من الناس عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وبأن هؤلاء المؤثرات طيبات ولا يستحقين هذا الظلم" كما عبرت المبحوثتان عن "شعورهما بالحزن بسبب الهجوم على المؤثرات وبأنهما حزينتين لحزنهما وتفرحان لفرحها (أي المؤثرات)" كما أضافت إحداهن مبررة ما فعلته إحدى المؤثرات مدافعة عنها بقولها "اضطرت تحكي كل شيء عن حياتها لأن أعداءها كشفوا تفاصيل كاذبة عن حياتها" يمكننا ملاحظة أن المبحوثة هنا تستخدم مصطلح "أعداءها" في حالتها الدفاعية متموقعة مكان المؤثرة، أما المفردة الثالثة والتي تتابع المؤثر "خبيب" فقد دافعت عنه عندما سألناها عما إذا كانت قد تواصلت معه بشكل مباشر أو لا بردها "أنها لم تتواصل معه لأنها تعلم أنه لن يرد عليها ولكنها تفهم ذلك وتعلم أنه لديه الكثير من المتابعين ولا يمكنه الرد عليهم جميعاً"، وأردفت بقولها: "الله يحسن عونه".

الجدول 5: (يوضح إجراء المقارنة المستمرة المتعلقة بالتقمص الوجداني والتوحد السلوكي مع المؤثر)

العينة	الجنس	المؤثر الأكثر متابعة وتفضيلاً	درجة التقمص والتوحد
المفردة 01	أنثى	أميرة ريا	تقمص وجداني
المفردة 02	أنثى	لجين عمران	تقمص وجداني
المفردة 03	أنثى	خبيب	تقمص وجداني
المفردة 04	أنثى	سامية (Samia)	تقمص وجداني
المفردة 05	أنثى	ماريا سعدي	توحد سلوكي

المصدر: الباحث

ما يمكن ملاحظته من خلال هذه القراءات/ التفسيرات النظرية أن هناك علاقة وطيدة بين الاستخدام والإشباع والغرس والتقمص/ التوحد، إذ يبدو أن التأثيرات الأولية التي تحدثنا عنها في ظل هذه المداخل النظرية تشكل طبقات (Layers) متكاملة مترابطة لفعل التأثير الذي يحدثه مؤثرو الميديا الاجتماعية، إذ أنه كلما نجح المؤثر في إشباع حاجات المتابع زاد انفتاح هذا الأخير على غرس/ تعلم أفكار وسلوكات أكثر تقدماً فيما يتعلق بحياته/ معاشه وإدراكه لواقعه الاجتماعي، كما أن الغرس المتزايد والتراكمي الذي تحدثه المتابعة المستمرة للمؤثر على المدى الطويل تحدث تقمصاً وجدانياً ثم توحداً سلوكياً مع المؤثر في مستويات متتابعة/ متلاحقة تنتهي بالتماهي/ التوحد الكلي للمتابع مع المؤثر الذي عبرت عنه إحدى المبحوثات بقولها: "أني أعرف كل شيء عن أميرة ريا، أني أعيش معها/ أعيش حياتها باختصار أنا أميرة ريا".

3. المؤثرون والتأثير عبر التجذير؛ حساسية نظرية متقدمة:

بعد عملية ترشيح البيانات المتحصل عليها من استمارة المقابلة المعمقة والاستبيان، وتصنيفها معرفياً في ظل التفسيرات التي قدمتها نظريات الاتصال الكلاسيكية، والتي لا تجزم أنها نهائية حيث قد توجد نظريات أخرى قد تتقاطع مع هذه البيانات إلا أننا نرى أن أكثرها وضوحاً وتجلياً كانت المداخل التي استخدمنا عدتها التفسيرية أعلاه، ننقل إلى عملية التجذير المتقدم لاستنطاق هذه البيانات في محاولة لاستخراج مفاهيم وفئات وتفسيرات جديدة بخصوص مسألة تأثير مؤثري الميديا الاجتماعية والتي تتناولها تباعاً كما يأتي:

3.1. افتراض/ فئة: تأثير الاستقرار والحوار والنقاش الأسريين على شدة تأثير المؤثرين:

هناك فرق جلي بين الإشباع أو الغرس أو التقمص أو التوحد: كأثار منفصلة لوسائل الإعلام الكلاسيكية وشخصياتها على الجماهير وبين هذه الآثار التي تحدث على مستوى مؤثري الميديا الاجتماعية بشكل متكامل/ تتابعي/ تكاملي، فالأولى غالباً تنتج عن شخصيات درامية وتمثيل ومسلسلات وأفلام وغيرها من المحتويات بينما الثانية تنتج

من شخصية حقيقية ومن ممارسات اجتماعية فعلية يومية، تتحقق الآثار أعلاه من خلال المؤثرين بشكل أكثر شدة وقوة منها في وسائل الإعلام الكلاسيكية.

يتحقق هذا التأثير القوي في رحلة الإشباع إلى التوحد بمتغير مهم أفصحت عنه بيانات الدراسة، فقد أعربت ثلاث مبحوثات (03) من أصل خمسة خلال المقابلة ومن خلال الاستبيان أنهن يعشن في أسر غير مستقرة مضطربة وكثيرة المشاكل، فكما سبق ذكره فقد كشفت إحداهن أنها: " تدرس خفية لأن شقيقها يرفض الدراسة في الجامعة وبأنها تتعرض لكثير من الضغوط والمشاكل بشأن هذا الأمر، كما أعربت أربعة (04) مبحوثات أنهن يعشن في أسرة قليلة الحوار والنقاش في حين قالت المبحوثة الخامسة أنها تعيش في أسرة منعدمة الحوار والنقاش، وعليه لم تذكر أي مفردة من عينة الدراسة أنها تعيش في أسرة تتمتع بالحوار والنقاش، فضلا عن النتائج المفاجئة التي أظهرها الاستبيان بخصوص علاقة عينة الدراسة مع الوالدين فقد كشفت مبحوثتان أن علاقتهما بوالدهما ضعيفة، بينما أقرت مبحوثتان أن العلاقة بالوالد قوية في حين وصفتها المبحوثة الخامسة بالعادية، ذات الشيء بالنسبة لعلاقة مفردات العينة بالوالدة، فقد أجابت مبحوثتان في الاستبانة عن علاقة سيئة مع الوالدة، في حين وصفتها مبحوثتان بالقوية، أما المبحوثة الخامسة فقد فقدت والدتها في سن مكبر (متوفية)، وقد فصلنا في مسألة التعويض من خلال متابعة المؤثرين في محور الاشباع والاستخدام فيما يتعلق بهذه المسألة، هذا وتتلاقى هذه المؤشرات مع مُعطى الأسرة المتوسطة حيث أجابت كل المبحوثات في الاستبانة أنهن يعشن في أسر متوسطة الدخل. إذ ذاك يمكن إقران زيادة تأثير المؤثرين على الأفراد بمتغيرات الاستقرار الأسري، درجة الحوار والنقاش داخل الأسرة والدخل، فالأفراد الذين يعيشون في أسر غير مستقرة منخفضة الحوار والنقاش يُحتمل أن يرتفع تأثير مؤثري الميديا الاجتماعية عليهم، ذلك أن هروبهم من هذا الواقع يغمسهم في حياة أخرى يقدمها المؤثرون الذين يتقاسمون حياتهم مع متابعتهم ويحرصون على تقديم ذواتهم بإيجابية ناهيك عن التواصل الدائم مع المتابعين وفتح باب النقاش معهم في مختلف المواضيع والقضايا عبر تقنية البث المباشر والقصص (Stories)، فالهروب من الواقع اليومي إلى وسائل الاتصال الكلاسيكية ثم الرقمية دافع أصيل للمتابعة أثبتته الدراسات العلمية بشكل مستمر وثابت.

كما كشفت دراسة لكلمان Kelman حول عملية التأثير وأشكاله ركز فيها على تحليل التأثير الاجتماعي أن من بين أهم العوامل التي وجد أنها تساهم بشكل قوي في عملية تأثير وسائل الإعلام مسألة الخصوصية وتبرز هذه العملية عندما يشعر كل فرد بأن الإعلام موجه له بصفة خاصة أو أنه يحاول مناقشة مشاكله ومساعدته في إيجاد حلول لها. (الطيب، 2014، ص 93) وهي المسألة التي تتجسد/تتحقق بشكل أكبر عند مؤثري مواقع التواصل الاجتماعي الذين يحرصون في خطاباتهم على توجيه الرسالة بشكل مباشر وخاص لمتابعيهم مستخدمين استمالات عاطفية/نفسية لفظية بدرجة أولى مثل تلك الشائعة على مواقع التواصل الاجتماعي: (حابي، أصدقائي، خاوتي، العائلة، mes Amours la famille، my lovers...).

الشكل 2: (يوضح عيش أغلب المبحوثين في أسر مضطربة غير مستقرة)

كيف تصف الأسرة التي تعيش فيها ؟

5 réponses



المصدر: الباحث استناداً إلى مخرجات الاستبيان الإلكتروني على *google forms*

الشكل 3: (يوضح عيش أغلب المبحوثين في أسر قليلة الحوار والنقاش)

كيف تصف طبيعة الحوار في أسرتك؟

5 réponses



المصدر: الباحث استناداً إلى مخرجات الاستبيان الإلكتروني على *google forms*

3. 2. افتراض/فئة: تطهير المؤثرين للمتابعين من شعور الخوف والقلق:

أفصحت ثلاثة (03) مبحوثات من أصل خمسة (05) عن تخلصهن من مشاعر الخوف والقلق والاكتئاب والإحباط عند متابعتهن للمؤثرين الذين يفضلونهن، فقد قالت متابعية المؤثرة "أميرة ريا" أنها "قد ساعدتها في التخلص من حالة الاكتئاب التي مرت بها، في حين عبرت متابعية المؤثرة "لجين عمران" أن النصائح والأفكار التي تقدمها قد ساعدتها على تبديد/تقليل الشعور من الخوف نحو المستقبل، كما أنها تشعرها بأنها ستصل يوما ما إلى ما تريد رغم ظروفها الصعبة وأنها قد أعطتها أملا في تغيير واقعها نحو الأفضل"، كما عبرت متابعية المؤثر "خبيب" عن تقليل الشعور بالإحباط عند متابعتها لمحتواه حيث قالت: "أريد التقدم في حياتي رغم الواقع المر، لكن عندما أشاهد خبيب أفرح وأشعر أنني خرجت وسافرت، إنني أسافر من خلاله بخيالي وعندما أشاهده يخف شعوري بالإحباط".

وعليه يبدو أن التماهي/التوحد مع مؤثر واحد والانغماس في معاشه عبر مواقع التواصل الاجتماعي يخفف/يطهر من الخوف والقلق والإحباط الناجمين عن الواقع المعاش للمتابعين، كما يمكن القول أن اختيار مؤثر واحد والتماهي معه يخفف أيضا من الإحباط والاكتئاب الناجمين من المشاهدة المستمرة لحياة الرفاه والبذخ والثراء عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فعلى الرغم من نزوع بعض الدراسات إلى اعتبار "الهوية الرقمية استعراضا للذات أكثر من كونها كشافا لها" (فورمنترو، 2016، ص 13)، إلا أن الملاحظ أن المؤثرين ينزعون بشكل متقدم نحو عرض/تقديم حياتهم كاملة بسلبياتها وإيجابياتها، حيث تراجع حرصهم على إظهار الإيجابية فقط أو تمثيلها وادعائها نحو مشاركة سلبيات/عثرات حياتهم أيضا، إذ يظهر ذلك في مقاسمة متابعيهم لمشاكلهم وانهيائاتهم وأحزانهم وبكائهم الذي يمكن أن نصطلح عليه "بالتأثير بالتعاطف" والخوض في الطابوهات والمحظورات في محاولة لإثارة اللغظ السيء BAD BUZZ وما يثيره من جدل وجلبة polemics فضلا عن تحقيقه لنسب جذب ومتابعة أكبر.

وهو الأمر الذي يؤكد غسان مراد في قوله: "من الواضح أن الإنترنت غيرت طريقة تقديم الفرد لنفسه إلى الآخرين لكي يكون حاضرا اجتماعيا، بات لزاما عليه أن يكشف تفاصيل حياته الخاصة (هواياته، مشترياته، مشاكله...) إضافة إلى الإفصاح عن أمور خاصة كراهيه في السياسة وأصدقائه الحميمين .. وإظهار كل ما يقوله الآخرون عنه، فالهوية الواقعية صارت مصاحبة لنظيرتها الرقمية، ثمة انطباع واسع أننا دخلنا مرحلة الرغبة في تعريف الآخرين بخصوصيتنا وهي تسمى "الخصوصية الخارجية" والأرجح أن تلك الظاهرة دفعت الشباب كي يشاركوا في لعبة استعراض كل ما لديهم في حياتهم الخاصة، واستطرادا باتوا يعطون من ذواتهم أشياء كثيرة لم يكن الكائن البشري ميالا للتصريح بها، إذ تسمح نظرة الآخرين بنشر بعض العناصر من الحياة الخاصة والتخلي عن بعض القيم بعد أن ظلت طويلا حبيسة السر الأسري". (مراد، 2019، 115).

الشكل 4: (يوضح شعور أغلبية المبحوثين بالخوف من الواقع والمجهول)

هل تشعر أنك خائف دائما من الواقع ومن المجهول؟

5 réponses



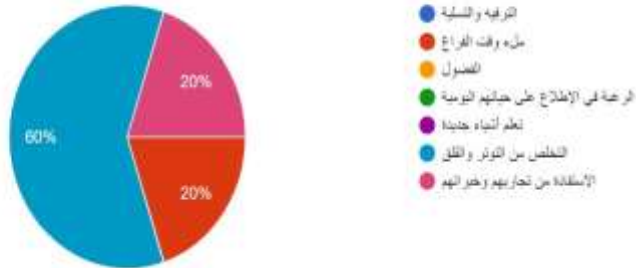
المصدر: الباحث استناداً إلى مخرجات الاستبيان الإلكتروني على

google forms

الشكل 5: (يوضح بروز سبب التخلص من القلق والتوتر كسبب لمتابعة المؤثرين)

ما هي أسباب متابعتك للمؤثرين؟

5 réponses



المصدر: الباحث استناداً إلى مخرجات الاستبيان الإلكتروني على *google forms*

3.3. افتراض/فئة: التصحيح المعاكس/ التنازل المريح/ الإنجاز بالنيابة :

من خلال التحليل السابق يبدو أن لعبة تأثير مؤثري الميديا الاجتماعية نفسية بامتياز، وبأن الأفراد يطورون ميكانيزمات وحيل نفسية للتخلص من كل أشكال القلق والخوف والتوتر المصاحبين للحياة اليومية من خلال متابعتهم للمؤثرين، لكن الأمر لا يبدو أنه يتوقف عن التطهير من الخوف والقلق بل يمتد إلى التخلص من الشعور بالإحباط من عدم الإنجاز وبالتالي تحقيق/تأكيد الذات، فقد ذكرنا سابقاً في المحور المتعلق بتفسيرات الاستخدام والاشباع المحقق من متابعة المؤثرين في بداية هذه الدراسة أن تحقيق الذات والشعور بالإنجاز بقيت حاجة عالقة لم تُمكن متابعة المؤثرين من إشباعها، حيث لم يظهر في استجابات الباحثين من أفادت بتحقيق

أهدافها/ذاتها في الواقع، بل عبرن على العكس تماما بأنهن حبيسات ظروفهن وواقعهن الاجتماعي أو مازلن يحاولن تأكيد ذواتهن أو في طريقهن لفعل ذلك.

إن تبديد هذه المخاوف والاحباطات المتعلقة بعدم الإنجاز/تحقيق الذات لا يتحقق إلا بالتموضع النفسي المُجاور/ المعاكس للمؤثرين الذي نصطُحُ عليه "بالتصحيح المنعكس"، فقد عبرت أغلب المبحوثات "عن فرحتهن وسعادتهن برؤية إنجازات المؤثرين ونجاحهم كما عبرن أنهن يشعرن بالراحة إزاء ذلك"، كما عبرت مبحثتان (02) "عن شعورهما بالاطمئنان والراحة عند رؤية إنجازات المؤثرات اللواتي تتابعانهن، وبأنهما تشعران بإمكانية إنجاز ما أنجزته المؤثرات وتحقيق ذواتهن مثلما فعلن (المؤثرات) يوما ما"/" كما قالت المبحوثة التي تتابع المؤثر "خبيب" أنها "تشعر أنها قد سافرت عندما تشاهد أسفار ورحلات خبيب، وبأنها تستخدم خيالها للسفر من خلال ما يعرضه خبيب"، يمكن أن نصطُحُ على هذه العملية مفهوم "الإنجاز بالنيابة" أو "الإنجاز المتخيل"، إذ يمكن القول أن المتأثرين بشدة بمؤثري مواقع التواصل الاجتماعي تبلغ درجة التقمص الوجداني والتوحد السلوكي معهم درجة التماهي/ الذوبان في المؤثر وإحالة انجازاتهم وتحقيق ذواتهم بالنيابة/ الوكالة إلى ذات المؤثر، إنه أفضل توكيد للذات الاستحواذية عبر الإنترنت التي شخصها ووصفها أركين.

إذ ذاك يتماهى المتأثرون مع المؤثرين محاولين (المتأثرين) تعويض هذا النقص وتصحيحه بشكل لا واعي (التصحيح المنعكس) للتخلص من القلق والإحباط المرتبط بعدم الإنجاز/تحقيق الذات، "إنه إرجاء/تنازل مريح"، يتم تعويضه وتصحيحه بالتوحد/ التماهي المطلق مع الشيء المعاكس تماما الذي لا يملكونه لتحقيق التوازن النفسي المطلوب بالاستناد إلى فكرة أنهم سيحققون يوما ما شيئا مشابها يعوضون غيابه بمشاهدة ومتابعة أشخاص يشابهونهم، وهو ما تؤكدُه أغلب المبحوثات في شعورهن بالتشابه الكبير مع مؤثرهم، في تمثل يسكن عقولهن ويسكت إلحاحها المستمر بشأن ذواتهن الذات مفاده: أنا أشبه المؤثر الذي أتابعه في الاهتمامات

والتفضيلات والشخصية، لقد حقق الذي يشبني ذاته، إذن سأحقق أنا أيضا ذاتي مثله يوما ما".

إن هذا الطرح يعضده "اقتراح تافيل وتورنر فيما اصطلحا عليه البحث عن آخرين مشابهين finding similar others.

إذ يوردان فيه أن كون الفرد جزء من مجموعة يشترك معها في الاهتمامات يمكن أن يكون له تأثير إيجابي على تقدير الذات، ليس من المستغرب أن يشار إلى الانتماء باعتباره الدافع الرئيس لاستخدام الفيسبوك والأنستغرام أين يمكن للأشخاص أن يجدوا أشخاصاً مشابهين لأنفسهم ومن ثمة يشعرون بالتمكين، بهذه الطريقة قد يعمل الإنترنت كوسيلة لإثراء هوية الأفراد، حتى الاتصال بالآخرين المؤلفين على مواقع الشبكات الاجتماعية وجد أنه يؤدي إلى مزايا مماثلة لأن الترابط عبر الإنترنت يجعل الاتصالات أكثر قوة. (يار وشير، 2022، 83)

وعليه يدعم هذا التمثل حالات التقمص الوجداني والتقليد المستمر للمؤثر فحقا: المتأثرة بأميرة ريا تتحول إلى أميرة ريا في تصرفاتها وشكلها، والمتأثرة بخبيب تتقمص شخصيته وأحاديثه المستمرة عن السفر والمغامرة والتحدي، والمتأثرة بماريا سعدي صانعة محتوى اللغات تقلدها في نطقها وتعلمها للغات، والمتأثرة بSamia Ch تقلد لباسها وطريقة تعاملها مع زوجها وأسرته وهكذا...إذ ذاك يمكن القول أن أعمق أثار مؤثري الميديا الاجتماعية هو استنساخ نسخ لا متناهية منهم على الأقل في الشكل وطريقة اللباس والكلام والتفكير في انتظار تحقيق الذات المرجاة.

وبالتالي نجمال القول بأن متابعة مؤثر معين متابعة نشطة قوية لفترات طويلة ومنتظمة يحدث توحداً معه بالشكل الذي يحقق تصحيحاً منعكساً وإرجاء مريحا للشعور بعدم الإنجاز/تحقيق الذات نحو المؤثر، والتطهر من حدة الشعور بالعجز والفشل وغموض المستقبل من خلال الإنجاز بالنيابة عبر التموذج/ التوقع في الإنجازات الفعلية والحقيقية للمؤثرين لتعويض/ تصحيح الإنجازات غير المحققة للمتأثرين وإرجاء الإنجازات الممكنة لهم.

أخيراً، تبقى مسألة مدة/طول المتابعة ودرجة تأثيرها هي الأخرى على قوة/شدة تحقيق التصحيح المنعكس افتراض في حاجة إلى التوكيد أو النفي شأنه شأن جميع الافتراضات/المفاهيم النظرية التي توصلت إليها هذه الدراسة عبر مسار التجدير/التقعيد النظري الذي اتبعناه من خلال تطبيق منهج النظرية المجردة.

الشكل 6: (يوضح النموذج النظري المتكامل للتصحيح المنعكس كأعمق أثر لمؤثري الميديا الاجتماعية)



المفتاح:

. التعرض الأولي للمؤثر عرضاً/صدفة أو قصداً

. إشباع معرفي: تعلم من الدرجة الأولى (مهارات كالطبخ، الموضة، اللغات، برامج المونتاج...)

. الغرس: تعلم من الدرجة الثانية (غرس وتعلم أفكار أكثر عمقا قد تقترب أو تباعد عن القيم والعقائد والسائد في المجتمع)

. القرب النفسي: الغوص في الحياة اليومية للمؤثر، التعاطف معه، حبّه،

الدفاع عنه

. التوازن النفسي: التطهر/ التخلص من مشاعر القلق، الخوف، الاكتئاب

عند متابعة المؤثر.

. الانعكاس/ التصحيح المنعكس/الإرجاء المريح: الشعور بالإنجاز/ تحقيق

ذات من خلال/عبر المؤثر

المصدر: إعداد/ تصميم الباحث

. الخلاصة :

خُلصت نتائج هذه الدراسة إلى نموذج نظري متكامل ينطلق من تفسيرات نظرية قارة/ أصيلة تفيد بتحقيق متابعة المؤثرين لأشباع معرفية، ثم نفسية عاطفية ثم إشباعات شبه توجيهية، تباعاً تؤدي المتابعة المستمرة لمؤثري مواقع التواصل الاجتماعي إلى غرس وتعلم مجموعة متقدمة من الأفكار والقيم والمعتقدات ترابط في مجملها بعمق الواقع الاجتماعي والمعاش الفعلي للمتأثرين المتابعين لتستمر سيورة التأثير إلى مستوى أكثر عمقاً بتحقيق تقمص وجداني وتوحد سلوكي مع شخصيات الميديا الاجتماعية، كما كشفت الدراسة أيضاً أن مستويات التأثير الثلاثة هذه (الإشباع، الغرس، التقمص، التوحد) تحدث في مسار تطوري عند متابعي المؤثرين وهو ما اصطلاحنا عليه بتشكيل طبقات التأثير أو طبقات التأثير التطوري/ التتابعي Full Impact layers، هذا الأخير الذي نعتبره من المفاهيم الأصيلة والمبتكرة التي جادت بها دراستنا فضلاً عن كونه إجراءً منهجياً ونظرياً جديداً يقتضي الجمع بين هذه المداخل الثلاث لتفسير آثار مؤثري الميديا الاجتماعية.

تتابع طبقات التأثير هذه بشكل متصل فيما يتعلق بالآثر الذي يحدثه مؤثرو الميديا الاجتماعية، على عكس ما يحدث في الميديا الكلاسيكية أين تحدث هذه الآثار بشكل منفصل/مستقل، ذلك أنه من غير الممكن أن يتابع الفرد برنامجاً أو فيلماً أو أي

محتوى في وسائل الإعلام الكلاسيكية لمدة سنوات، بينما هناك إمكانية لمتابعة مؤثر ما عبر مواقع التواصل الاجتماعي لسنوات، إذ ذاك يصبح التأثير التراكمي أكثر شدة وقوة تتابع فيه طبقات التأثير المذكورة آنفا كما بينت نتائج الدراسة.

على صعيد آخر، كشفت الدراسة عبر مسار التجذير نموذجاً نظرياً جديداً، اصطلاحاً عليه بالتصحيح المنعكس كأعمق أثر يمكن أن يحدثه مؤثرو الميديا الاجتماعية، الذي افترضنا فيه أن مشاهدة/متابعة إنجازات المؤثر والتفاعل معها والانغماس المُحايث فيها يعطي إحساساً مماثلاً بالإنجاز وتحقيق الذات، هذا الافتراض الذي نحتنا فيه مجموعة من المفاهيم الحديثة: كمفهوم الإجراء المريح، والإنجاز بالمناوبة والإنجاز المتخيل، والاستدساخ، والمُشابهة والتي نعتبرها أيضاً مفاهيم أصيلة ومبتكرة جادت بها هذه الدراسة. في ذات السياق توصلت الدراسة إلى افتراضين آخرين: تمثل الأول في: تأثير الاستقرار والحوار الأسريين على درجة تأثير مؤثري الميديا الاجتماعية، أما الثاني فيتعلق بتطهير المؤثرين للمتابعين من الشعور بالخوف والقلق والاكتئاب والإحباط.

وعليه يمكن صياغة فرضيات النموذج النظري الخاص بالتصحيح المعاكس كما يأتي:

1. المتابعة المستمرة لإنجازات المؤثر والتفاعل معها والانغماس المُحايث فيها يعطي إحساساً مماثلاً بالإنجاز وتحقيق الذات، هذه الأخيرة تعد أعمق أثر يمكن أن يحدثه مؤثري الميديا الاجتماعية.
2. تمكن المتابعة النشطة للمؤثرين والتقمص الوجداني والتوحد السلوكي معهم من تطهير المتابعين من مشاعر الشعور بالخوف والقلق والاكتئاب والإحباط.
3. تُسدّ متابعة المؤثرين فراغات لدى المتابعين، يعوضون من خلالها نقصاً ذو أصول نفسية واجتماعية.

4. يُفضي الشعور الواهم بالتشابه مع المؤثرين استنساخا شكليا سطحيا لدى المتابعين يغطي ضعف الإنجاز الحقيقي وتوكيد الذات.

5. تزداد التأثيرات التي يمكن أن يحدثها متابعو الميديا الاجتماعية على الأفراد كلما كان معاشهم ضمن أسرة مضطربة وغير مستقرة ولا تتمتع بالحوار والنقاش.

ختاماً، يمكن القول أنه إلى جانب المداخل النظرية الكلاسيكية الثلاث المذكورة أعلاه يمكن إضافة المدخل الرابع المستحدث من خلال هذه الدراسة والموسوم بالتصحيح المنعكس للحصول على نموذج نظري متكامل بخصوص مستويات/ طبقات التأثير المترتبة بمؤثري الميديا الاجتماعية، كما يبقى هذا النموذج بافتراضاته ومفاهيمه التي توصلنا إليها محاولة نظرية أولية تحتاج إلى المزيد من البحوث لاختبار مدى صحتها أو تنفيذها من خلال جملة من الدراسات الميدانية/ الإمبريقية وفي مقدمتها اختبارها على فئة الذكور لأن الدراسة كانت على عينة متاحة من الإناث ثم توسيع اختبارها على الجنسين بمختلف خصائصهما السوسيو-ديمغرافية وهو ما يمثل الآفاق المستقبلية لهذا البحث.

. قائمة المراجع:

1. الحاج، كمال، (2020)، نظريات الإعلام والاتصال، سوريا، منشورات الجامعة الافتراضية السورية.
2. الطيب، عبد النبي عبد الله، (2014)، فلسفة ونظريات الإعلام، مصر، الدار العالمية للنشر والتوزيع.
3. البلداوي، عبد الحميد عبد المجيد (2008)، الأساليب التطبيقية لتحليل وإعداد البحوث العلمية، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.

4. باتشيري، أنول (2015)، ت: خالد بن ناصر آل حيان، بحوث العلوم الاجتماعية المبادئ والمناهج والممارسات، الأردن، دار اليازوري.
5. ستراوس، أنسيلم وكورين، جوليت، (1999)، ت: عبد الله بن حسين الخليفة، أساليب البحث الكيفي أساليب وإجراءات النظرية المجردة، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر.
6. شارلين، هس بيير وباتريشيا، ليفي، (2011)، ت: هناء الجوهري، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
7. مراد، غسان، (2019)، دهاء شبكات التواصل الاجتماعي وخبايا الذكاء الاصطناعي، لبنان، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.
8. مجموعة مؤلفين، (2016)، ت: عصام المحيا، الهويات الرقمية إمكانات التعبير عنها وتعقدها، بيروت، منشورات ضفاف.
9. مجموعة مؤلفين، (2022)، ت: مفيد نجيب حواشين ومراد علي عيسى، دليل أوكسفورد لعلم النفس السيبراني، الأردن، دار الفكر.
10. عزي، عبد الرحمن، (2013)، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

11. Bernard, H. R, & Ryan G. W, (2010). Analyzing Qualitative Data: Systematic Approaches. California, Sage Publication.
12. Lerner, Daniel, (1963) To word a Communication Theory of Modernization in Lucien Pye, Princeton University Press.
13. Oktay Julianne, (2012) grounded theory- pocket guides to social work research methods, USA, Oxford University Press.